المحاضرة السابعة: المدرسة النيوكلاسيكية (الحدية)

في بداية السبعينات منذ القرن التاسع عشر، ظهر فكر المدرسة الحدية أو كما يطلق عليها اسم المدرسة الكلاسيكية الحديثة، حيث ظل الفكر الحدي مسيطرا دون منافس حتى ظهور الفكر الكينزي.

حيث ركزت هذه المدرسة على سلوك الوحدات الاقتصادية الأولية أو ما يسمى بنظرية الاقتصاد الجزئي الذي يتمحور حول نظرية القيمة.

كما ركزت على فكرة التحليل الحدي، حيث يركز عن المنفعة الحدية أو الأخيرة وقد ساعد على نمو النظريات في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ما وجدت من تطور على مستوى الدراسات النفسية من ناحية، ومن ناحية أخرى كرد فعل للمنهج التاريخي من ناحية أخرى.

وبشكل عام تميزت المدرسة الحدية بتطوير الأفكار التالية :

-اهتمت المدرسة الحدية بالوحدة الاقتصادية أو الفرد بدلا من الاهتمام بالمجتمع ككل في تحليل السلوك.

-بني التحليل الحدي على نظام اقتصادي يعتمد على المنافسة الكاملة، مع الالتفات في بعض الأحيان إلى حالات الاحتكار المطلق.

-مع المفهوم الحدي أصبح الاقتصاد يخضع لبعض الآراء والحكام الشخصية والنفسية، مع أسلوب قياس المنفعة إلى جانب بقية الظواهر.

-أدخل الطلب كمحدد رئيسي للسعر.

- حافظت المدرسة الحدية على المنهج العام الذي سارت عليه الكلاسيكية كعدم تدخل الدولة والحرية الاقتصادية وتعظيم الربح.

- تم استخدام الأسلوب الرياضي في شرح وتحليل العلاقات الرياضية وخاصة منها: مفاهيم: التفاضل، الاشتقاق وغيرها، وهكذا جعل الاقتصاد علما قابلا للقياس.

تفترض المدرسة الحدية أن الأفراد يتصرفون تصرفات رشيدة عند تطبيق اختياراتهم الاقتصادية، خاصة في مجال الاستهلاك والموازنة بين الحاجات والمنافع الحاضرة والمستقبلية.

وقد تبلور الفكر الاقتصادي الحدي بفضل جهود الجيل الأول من الكتاب الحديين أمثال:كارل منجر، ستانلي جيفونز، و ليون فالراس ثم ازداد اكتمالا على يد الجيل الثاني الذي ممثلهم ألفريد مارشال وغيرهم.

أولا: المدرسة النمساوية

المدرسة النمساوي هي نهج للاقتصاد نشأت في فيينا في سبعينات القرن التاسع عشر، حيث انتقدت الاتجاهات الاقتصادية السائدة في تلك الفترة، حيث يقول أصحاب هذه المدرسة أن نهجهم المبين على الفرد والقيمة يوفر تفسيرا أفضل للأحداث الاقتصادية.

لقد بدأت هذه المدرسة مع نشر الكتاب الأول مبادئ علم الاقتصاد السياسي لكارل منجر، حيث تأثر أسلوب منجر بالمدرسة التاريخية الألمانية، وهو يرى أن الاقتصاديين الانجليز كانوا مخطئين في البحث عن الصلات بين إحصائيات التجارة والتبادل وان ما يحدث في علم الاقتصاد هو أن ملايين الأفراد يقومون بالاختيار على نحو متواصل، وهذه الاختيارات هي أساس الظواهر الاقتصادية، كالعرض والطلب والسعر والسوق، كما نادى منجر بأن الخيارات الفعلية التي يقدم عليها الأفراد تعتمد على القيم والتفضيلات الخاصة.

كما طور منجر إلى جانب الاقتصاديين الآخرين ما يدعى بتحليل المنفعة والذي يعد بمثابة ثورة في علم الاقتصاد، وقد بقي هذا التحليل سائدا في اليوم حيث أن الأفراد يسعون للحصول على أي شيء من شأنه أن يلبي أكثر الحاجات إلحاحا أولا، ثم الأقل (أو الأكثر حدية)، وإذا اختاروا التخلي عن شيء فإنهم سوف يختارون الأقل إشباعا.

كما يعتبر الاقتصادي الانجليزي ستانلي جيفونز (1835-1887) أول من هاجم ستيوارت ميل واعتبره مسؤولا عن تأخر الدراسات الاقتصادية، حيث أقام دراسته على أساس تجريدي، أين استخدم التحليل الرياضي (الكامل والتفاضل)، كما اهتم بالاستهلاك ووضعه في المرتبة الأولى قبل الإنتاج والتوزيع، وترتب عند ذلك أن حظيت فكرة المنفعة بجانب كبير من التحليل، كما ربط القيمة بالمنفعة، ويعتبر جيفونز أحد مكتشفي المنفعة الحدية وأطلق المساواة بين المنافع النهائية، حيث توصل إلى أنه عند التوازن تحقق المساواة بين المنافع النهائية، أي أنه هناك مصلحة في استهلاك مزيد من هذه

السلعة، للإفادة من هذه المنافع العالية ويستمر الأمر كذلك حتى تحقق المساواة بين المنافع الحدية وعندئذ لا يقوم أي حافز بتغير نمط الاستهلاك.

ويعد الاقتصادي ليون فالراس (1834-1910) من مكتشفي أيضا فكرة المنفعة الحدية مع كارل منجر وستانلي جيوفونز، كما أنه واضع فكرة التوازن الشامل للاقتصاد، حيث بين أن التوازن في الاقتصاد كل مترابط يشمل جميع السلع والخدمات.

ثانيا: المدرسة الرياضية

عرفت هذه المدرسة اتجاها يستخدم الوسائل الرياضية في شرح العلاقات الاقتصادية وقد ظهر هذا الاتجاه في انجلترا مع جيفونز و فالراس، إضافة إلى مؤسسة هذه المدرسة أوغيستين كورنو.

يعد الاقتصادي كورنو (1801-1877) أول من استخدم الأساليب الرياضية، وبوجه خاص التفاضل والتكامل، ولم يتم الاهتمام بأعماله إلا بعد وفاته، خاصة على يد جيفونز وفالراس، حيث يعتبر أول من أدخل فكرة منحى الطلب باعتباره علاقة بين الثمن والكمية المطلوبة، كما أشار كورنو إلى أنه في ظل المنافسة الكاملة يتجه الثمن إلى التساوي مع النفقة الحدية، وأوضح أن الطلب والعرض والثمن كميات مترابطة وهو مقدمة للتوازن الشامل.

إضافة إلى هؤلاء المفكرين يعتبر الإيطالي باريتو من مستخدمي الرياضيات بدرجة أكفأ من فالراس، حيث ترتبط الكفاءة عند باريتو ارتباطا وثيقا بنفقات الإنتاج، ويطرح مشكلة الرفاهية الاقتصادية عبر إشكاليات التوزيع، فتوزيع السلع بين الأفراد مرتبط بالدخل بوصفه قيداً من قيود الاستهلاك (الطلب).

ثالثا: المدرسة السويدية

سوف نقتصر هنا على مؤسس هذه المدرسة، جون قوستاف فيكسل (1885-1926)، فأهم ما يميز المدرسة السويدية اهتمامها بدراسة المشاكل النقدية والرغبة في تحقيق مزيد من الاندماج بين الاقتصاد النقدي والاقتصاد الحقيقي.

وقد حاول فيكسل تطبيق بعض أدوات التحليل على كل من الاقتصاد العيني والحقيقي وهذا ما أدى به إلى التمييز بين سعر الفائدة الحقيقي وسعر الفائدة النقدي، وحتى يتحقق التوازن لابد أن يتساويان، حيث سعر الفائدة الحقيقي هو الذي يسود في الاقتصاد العيني، أما سعر الفائدة النقدي هو السعر النقدي الذي تقتضيه البنوك مقابل الإقراض. كما استخدمه فيكسل فيما بعد في دراسة التقلبات الاقتصادية وهي ما عرفت بفكرة الحركات التراكمية.

رابعا: المدرسة التقليدية الجديدة بقيادة ألفريد مارشال

تمكن مارشال عام 1903 من إقناع جامعة كامبردج بتقديم مقررات منفصلة في علم الاقتصاد بدلا من تضمين الموضوع كجزء من الفلسفة والأخلاق، حيث تمثلت مساهمة مارشال الرئيسية في نجاحه في تحويل النمط الوصفي لعلم الاقتصاد إلى نمط رياضي باستعمال التفاضل والتكامل وطول عقود ظل كتابه مبادئ علم الاقتصاد والذي نشر لأول مرة سنة 1890، هو الكتاب الدراسي الرئيسي، كما ان طريقته في تحليل التوازن الجزئي في تحديد الأسعار وفقا للتغير في الطلب في حالة ثبات التغيرات الأخرى ما تزال قيد الاستخدام حتى وقتنا الحاضر.ويمكن تلخيص مساهمات مارشال فيما يلي:

- جمع مارشال في نظريته للقيمة بين النفقة والمنفعة، فالقيمة عنده تحدد بالعرض والطلب معا.

- أدخل مارشال فكرة المرونة في التحليل الاقتصادي لبيان طبيعة العلاقات بين المتغيرات، وتكمن أهمية هذه الفكرة كونها تعطي تحديدا للخصائص التغير دون ان تتوقف على وحدات القياس المستخدمة.

-كان هدف مارشال من الكتابة في الاقتصاد هو إعادة صياغة الأفكار الاقتصادية مع أدوات تحليل جديدة في الاقتصاد كمل استخدم مارشال أسلوب تحليل التوازن الجزئي.

- أدخل مارشال فكرة الزمن في التحليل كما استخدم فكرة تناقص المنفعة الحدية وأعطاها مزيدا من الوضوح والانضباط.

- درس مارشال توازن السوق، كما درس التوازن في سوق المنافسة الكاملة وفي سوق الاحتكار.